مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10/ العدد: 3(2022)، ص: 1772-1789

تجليات رمز المرأة بين فيض الكتابة وتعدد المعنى في شعر عبد الله العشي

The manifestations of the symbol of the woman between the abundance of writing and the multiplicity of meaning in the poetry of Abdullah Al-Ashi

نارة المختار 1، سالمي مصطفى2

1 جامعة عمار ثليجي (الأغواط)، m.nara@lagh-univ.dz

2 جامعة عمار ثليجي (الأغواط) ، salmimustapha17@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/07/25 تاريخ القبول: 2022/09/04 تاريخ النشر: 2022/10/08

ملخص:

عمليا إن غنى التراث الصوفي بالإمكانات والأساليب الفنية التي يمكنها أن تعطي القصيدة الحداثية طاقات تعبيرية لا حدود لها دفع "**عبد الله العشي**" كغيره من الشعراء إلى وصل تجاربهم بهذا التراث لما له من حضور حي ودائم في وجدان الأمة، ولما له من أسلبة في الكتابة وفي التجريب الشعري، وبالتالي قد اقتنص الشاعر اللغة الشعرية الحداثية بالاستلهام من التجربة الصوفية من كونها تجربة تتفجر بالقلق والنشوة والنضارة والتجاوز نحو أفق عجائبي تمتزج فيه المفارقات، وتتساوى فيه المتناقضات وتتعدد فيه الاحتمالات جاعلا من رمز المرأة والأنثى وسيلة للولوج إلى عوالم الكتابة الصوفية العرفانية التي تنفتح فيها اللغة نحو دلالات متعددة تجذب القارئ في متاهاتها وجمالياتها.

الكلمات المفتاحية: رمز؛ المرأة؛ شعر؛ التصوف؛ التجريب؛ عبد الله العشي.

Abstract:

Practically, the richness of the mystical heritage with possibilities and artistic methods that can give the modernist poem limitless expressive energies prompted " Abde allah Al-Ashi ", like other poets, to connect their experiences with this heritage because of its living and permanent presence in the conscience of the nation, and because of its stylistics in writing and in writing. Poetic experimentation, and thus the poet has captured the modernist poetic language by drawing inspiration

from the Sufi experience from being an experience that explodes with anxiety, ecstasy, freshness and transgression towards a miraculous horizon in which paradoxes are mixed, contradictions are equal and possibilities are numerous, making the symbol of women and females a means of accessing the worlds of mystical writing in which it opens Language towards multiple connotations that attract the reader in its labyrinths and aesthetics.

Keywords: symbol؛ woman؛ poetry؛ Sufism؛ experimentation؛ Abde allah Al-Ashi.

***المؤلف المرسل:** نارة مختار

1. مقدمة

إن تناول الشاعر لرمز المرأة في الكتابة كان مثل حب المحبوبين فطريقه محفوف بإرادة الله وعنايته والعناية فيه مقضية متحققة، والسفر فيه سريع، وما نراه جليا أن الشاعر يتدرج في المقامات الصوفية كأنه يطويها طيا، وفق نسق شعري تجريبي، يعيد تناول الأشياء ويكررها ويتعايش معها، ليقيم بناء شعريا حداثيا متماسكا ومنسجما مع مقتضيات الواقع الراهن، الذي يبحث عن الروحانية من مصافها ومنابعها، ليجد فيها الراحة والسكينة النفسية من قلق الحياة وأدرانها المادية، والذي يرغب في التجديد وإقامات أشكال شعرية متعددة ومتنوعة تقتضيها روحه القلقة المتسمة بالرغبة في التسامي بالمطلق في الكتابة والمطلق في الذات العليا وهذا ما حدا بي بلهفة مشرقة وحيرة محدقة إلى التساؤل ما مدى مساهمة الشاعر في تجربة الحداثة الشعرية؟ وكيف ساهم في بناء شعره من خلال رجوعه إلى التراث الصوفي؟ كيف تمركزت تجربة رمز المرأة عند **عبد الله العشي**؟ وكيف تشظت الرؤيا والإيحائية في رمزية المرأة عنده لتشيد لنا عوالم مفعمة بترنيمات الوجد الأزليّة؟

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن رمز المرأة كتجربة في الكتابة وفق تطواف في غيمة من احتمال لا متناه، تنشد الممكنات، وتناجي المستحيلات، عبر

وسيط انتقالي عروجي، من عالم الشهود، إلى عالم الغيب المنشود، لتفنى فيه برغبة تفني الشهوة والأرضية التي تعيق حاجز الكشف والارتقاء.

وقد كان المنهج السيميائي هو المنهج المتبع من خلال تتبع العلامات الدالة، وكذا من خلال الكشف عن البنية العميقة والمبطنة التي نالها هذا الخطاب الذي احتفى بالرمز والإشارة بدل العبارة.

1 - رمز المرأة الفيض العرفاني والتشظي الدلالي في شعر عبد الله العشي:

يجسد حسّ التصوف عند **عبد الله العشي** تجربة ووثبة إبداعية تقتضي المحبة الخالصة والإصرار على الفناء في محبة المرأة كرمز، لـ(**تصبح الأنوثة قيمة شعرية وليست كيانا متغزلا به، وكأنما هو مجرد معشوق جسدي أو مجرد عامل تحفيزي على القول، كما أنها ليست مجازا إبلاغيا واستعارة طارئة على النص، ولكنها هي النص ذاته**)، (شقرون، 2010) إلى آخر رمق دون أن يحيد قيد أنملة عن نواميس هذه المحبة الفريدة المضرجة بماء الوجدان الزلال الطاهر، المطهرة بنار الوجد والشوق المسعرة التي تبغي الكتابة وروح الإبداع.

الاتكاء على رمز المرأة يعد انصهارا في التجربة الصوفية رغبة ولذة في الكتابة وتماثلا للرغبة الصوفية في حلول العاشق بالمعشوق، والعذاب في اللذة، وصولا إلى الفناء في الذات العليا. وكذا لكتابة قصيدة عرفانية تبتعد عن السطحية وتتجه نحو الأعماق في سبيل خلق تماس والتقاء مع الباطن والجوهر الروحي، وهذا ما نجده في قصيدته:

"**قمر تساقط في يدي**" (العشي، ديوان مقام البوح، 2007).

مري على جسدي ليتسع الأمد
وتصير الأقمار أجنحة
وتزهو في حدائقنا الحمائم
والحجل
مري على روحي...
ليحترق الجسد
وتحوم الأطيار حول شفاهنا

وتلتقط ما تناثر

من شرار البوح...

أو مطر القبل.

تلوح صورة المرأة مختبئة تحت تراكمات اللغة والثقافة على أنها كائن مسجون داخل اللغة، فهي مفردة في المعجم الدلالي ومجاز بلاغي ورمز صوفي، إلا أنها في ذات الشاعر هي ذلك الكائن المرغوب فيه يطلب الاتحاد واللذة الحسية والمعنوية؛ **(ليحترق الجسد، مطر القبل)** إنه مريد يريد أن يهل من بحار النشوة والامتزاج بالحسي ليكون مطيته إلى انتقال روحي بحثا عن كمال ومثال راسخ في اللغة والكتابة الشعرية.

إن رمز المرأة في شعره كتجربة في الكتابة تطواف في غيمة من احتمال لا متناه، تنشد الممكنات، وتناجي المستحيلات، عبر وسيط انتقالي عروجي، من عالم الشهود، إلى عالم الغيب المنشود، لتفنى فيه برغبة ما أراها تتحقق إلا في عوالمه العرفانية، التي صبغها بروح كليمة متألمة حائرة مغتربة، وسط ركام الوجود المادي، إيذانا منها باتحاد خالص مع أنثى ينشد من خلالها الكمال والجمال والجلال والمثال، فهو عبر تطوافه هذا في ارتقاء وتدرج بين مقامات صوفية متنوعة، باذلا كليته ليحقق مناه، بالوصول إلى مولاه، والفناء في سبحات نوره وسناه، ليضل أبدا في اتحاد معها ليدخل من خلال هذا الحال الصوفي إلى فضاء اللغة الرحب لأن (**الشاعر لا ينشد التصوف بالمعنى الحقيقي، إنما ينشد "فضاء اللغة" ومقاماتها وأحوالها، وينغلق الفضاء الذي كنا نعتقده صوفيا، وينفتح فضاء اللغة وحقول العبارة)**، (شقرون، 2010، صفحة 126) وهذا ما نلمسه في قصيدته، "**قاف، وكاف**" (العشي، ديوان صحوة الغيم، 2014)

حين ضيع تاريخه

لم يجد غير تاريخها

مد من تعب ظله

واستظل بأحرفها

أغلق الباب عن سره

واستعان بأسرارها

كله... كلها

ليس لي... ليس لي

مروياتي لها.

ومبتغى هذا الحب هو الارتقاء والوصول إلى السمو الروحي والفني على حد سواء، أو ما ينضوي تحت الرؤية الكونية لعاطفة الحب والتي ترى في المرأة ذلك الوجود المقدس؛ ليسمو الشاعر فوق حمئية المادة، وأدران الشهوات مصورا المرأة على أنها ذلك الكائن الذي يرمز إلى الطهارة، والنقاء، والصفاء، وفق توظيف جمالي لمعجم لغوي (ثبج، المياه، قدسية أنصع، بياض الغيم) وكلها تحيل إلى كينونة علوية، تستحق أن يهيم الشاعر باحثا عنها، رغبة في الوصول إليها، ولمنتهاها المنشود وهذا ما نجده في قصيدته: " **تجاوب**" (العشي، ديوان مقام البوح، 2007، صفحة 12)

ها هي من ثبج المياه تطل قامتها الجميله

قديسة وإلها.

ها هي تقبل من وراء الأفق،

أنصع من بياض الغيم

أجمل من صباها.

وأنا أقاوم خطواتي، مستعجلا

أمحو المسافة بيننا،

حتى تحل بدايتي

في منتهاها.

يأخذ هذا المقطع بعدا جماليا، من خلال استعانة الشاعر بأدوات اللغة الحداثية، وعناصرها الأسلوبية، وتجلى ذلك في الانزياحات اللغوية، التي أحدثت وقعا جماليا يحيل إلى حب الشاعر وتعلقه بهذه الأنثى.

وتتعدى مكانة هذه الأنثى حدود العقل والظاهر المرئي في شعره، لتغدو حكمة، ترتقي في مدارج المقامات، فهي **قدسية من وراء الشهب**، وهي **سحر السحابة**، وهي بذلك تشكل تلك الرغبة الجامحة في التوحد بها، والبحث عن

كنهها، في رحلة ممتدة صورها الشاعر في قصيدته: "**حيرة المعنى**" (العشي، ديوان صحوة الغيم، 2014، صفحة 42)

هي حكمتي...

هي شطآن أسئلتي

هي حبر القصيدة ..أرجوزة العمر

قديسة من وراء الشهب

هي سحر السحابة

مالت على جنبات السحب.

ليخضع الشاعر هذه القيمة العليا على أنثى مقدسة تحمل معاني الجمال والجلال المطلق، نجد الشاعر في قصيدته: **أول البوح**" (العشي، ديوان مقام البوح، 2007، الصفحات 5-9) يقول:

أوقفتني في البوح يا مولاتي،

قبضتني، بسطتني،

طويتني، نشرتني،

أخفيتني، أظهرتني..

وبحت عن غوامض العبارة.

وقلت يا مولاي:

أعطيت لك...

أعطيت كل شيء لك،

أفرغت فيك ما جمعت من محبتي،

ومن بحار نشوتي

أطلقت للمواجد الشراع

يستهل الشاعر قصيدته بلفظة "**أوقفتني** " والتي توالت في خلق عوالم القصيدة بأبعاد و دلالات صوفية من خلال التناص مباشرة مع (النفري) في مواقفه حيث قال: "**أوقفني في موقف النظر إلى وجهه وقال لي: اهبط إلى كل شيء فانظر إليه وعد إلي، فهبطت ومعي نوره الذي أهبطني به فرأيت كل**

شيء... أوقفني في القيومة وقال لي". (شقرون، 2010، صفحة 181) فتناص الشاعر مع الخطاب الصوفي يكسب تجربته (**غنى وأصالة وشمولا في الوقت ذاته، فهي تغني بانفتاحها على هذه الينابيع الدائمة التدفق بإمكانات الإيحاء ووسائل التأثير، وتكتسب أصالة وعراقة باكتسابها هذا البعد الحضاري التاريخي، وأخيرا تكتسب شمولا وكلية بتحررها من إطار الجزئية والآنية إلى الاندماج في الكلي المطلق**). (زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، 1997) فهذا الرافد يُعد مكسبا فنيا لكونه يحمل أبعادا دلالية و فنية لا متناهية من شأنها أن تخلق جو من الابتكار والتجريب لدى الشعراء.

ففي النص "**النفري**" يظهر جليا أن المخاطب هو ذات الله العلية بما تحمل من قداسة تجلت بأوامر أزلية لذات النفري، أما المخاطب في شعره فهو أنثى غير أنها أنثى ذات طابع قدسي تحمل صفات الألوهة، إنها أنثى تميس دلالا وتشع جمالا وتتلألأ جلالا، ينشر ويغمر بياضات أسرارها المحتجبة عن الظهور، فجنح إلى نقاط الحذف في أغلب الأبيات حتى لكأنه يحاول أن يتحاشى البوح المحظور، فرغبة العشي "**في الوصول إلى عالم الكشف، عالم الاحتمال، إلى عالم ما وراء الحجاب حيث يغدو الأرحب والأعمق في عالم المدد الذي فضله الشاعر ليغمر فيه كيانه بالنور والحبور ولعل هذا هو مكمن السر في تجليات الصوفي الداعية إلى الاشتياق إلى صورة الحق**" (فيدوح، 2009). ، ثم يضيف الشاعر بأنه أعطى كليته وذاته: **أعطيت لك**... هذا العطاء وهذا الامتنان اللامتناهي إنما هو دال على محبة أزلية وفي ذلك يقول الشبلي(**حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن تحب، فلا يبقى فيك لك شيء**). (السلمي، 1999) بمعنى أنها إعطاء بلا مقابل عطاء لا يبقي شيئا دون أنانية أو رغبة في التملك فمن خلال حديث الشاعر عن هذه الأنثى: (العشي، ديوان صحوة الغيم، 2014، صفحة 42)

هي حكمتي ...

هي شطآن أسئلتي

هي حبر القصيدة... أرجوزة العمر

قديسة من وراء الشهب

هي سحر السحابة

مالت على جنبات السحب.

تتماهى المعاني الشعرية عند الشاعر حتى لكأنه يكرع من كأس التماهي مع الذات في تأملاتها في الوجود، وفق درامية تتسم بالصراع النفسي، محاولا أن يسمعنا تأوهاته من ذاته الولهانة، وذلك في مقاومته للزمان، ومعاناته التي تسري في أواصره، فحين يشكو لوعة الروح في عشقه يسكن الكون في إيقاعاته الذابحة من شدة الأسى الذي يقطع فلذات من أعماقه، ومن المدى المنشود في حنينه الذي أسماه الحكمة، وشطآن أسئلتي، وما شبهها بشطآن، إلا لأنه يريد أن يضعها في مقوّم تماثلي للبحر الذي يشبه هذه الأنثى سواء من حيث تقلبه كتقلبها، أو لكونها سرا ولغزا كما هو مكمن الأسرار والألغاز، وحبر القصيدة، بمعنى ميلاد قصيدته الدالة على الاحتمال المأمول، وهي صورة للوجه الآخر، للظمأ، لذلك سيظل يبحث عن الذات في استشرافه لعله يجدها في صفحات شعره.

وتتنازع المحبة الإلهية وتختلج فؤاد الشاعر الذي يرنو نحو عوالم باطنية موغلة في القتم والضبابية إن اكتشاف الذات المشبعة بالخصوصية الروحية يعطي توهجا قابلا للتواصل بالعليائي النوراني، وبذلك تصبح تسابيح الحب ذات بعد إضماري بعمق امتدادها، واستنباط مياسم الحسن في قربه من نور الحق، الحق المنشود في الكتابة، القصيدة، المرأة، وقد أعطت أبعاد الحب عند الشاعر أفقا روحيا متناميا في مداراته، وفضاءاته الاشراقية، ليتجلى مقام التمازج بالعالم العلوي، حيث الوجود المطلق، والخير الأسمى، (فيدوح، 2009، صفحة 246) والحال هذه أن الشاعر مولع بابتهاج نفسه في نضارتها بعد توحده، وذوبانه في المحبة، رغبة في الانفصال عن العالم المادي القاتم وصولا إلى تلك المثالية السامية والتي انعكست رقتها في الاستلهام من الرافد الصوفي كونه يشكل معلما من معالم الشعرية العربية التي نهل الشعراء الحداثيون من خصوصياتها الفنية والفكرية على السواء وفق تداعيات تجريبية .

وفي رحلة المحبة الإلهية ودرجاتها المختلفة من شغف ودله ووله، نجد "**الثاء تغزل ليل(ها)" المقطع الثالث.** (العشي، ديوان صحوة الغيم، 2014، الصفحات 31-32)

أشرقت؛
تلك عينان من غسق غزل الليل جفنيهما
من دجى الكون، تحتفلان...
وتختصران المسافة بين السماوات والأرض. إني أرى؛
ضاق بي الأفق. إني أرى؛
قمرا ذاب في فيضه، وأرا(ها)...
تتوج بالظل بستانها
(ها) تذري البهاء على وجنة الريح...
(ها) لغة حكت الأبجديات ترحالها
وقرنفلة سكبت الفصول...
وأخفت تواشيح (ها)
(ها)قناع يؤجلني

إلى أن يقول في سياق المتن الشعري ذاته:

وانثنت وتولت...
وما ذاع سر لها. (العشي، ديوان صحوة الغيم، 2014، الصفحات 31-32)

تتزاحم في هذه القصيدة حيثيات المحبة الصافية والتي تمثل: نزعة الشاعر الحداثي-**عبد الله العشي**- نحو الخلاص إلى العوالم الصوفية، فحب الإنسان لله صفة تتجلى في قلب المؤمن الورع على صورة توقير وتعظيم، بحيث يرغب في أن يرضي محبوبه، ويصبح قلقا نافد الصبر في حنينه إلى رؤيته. وهو مقطوع الصلة بكل عاداته، وهو يبدأ من الشهوة الحسية، ويتجه نحو ساعة الحب، ويخضع لسلطان الحب، ويعرف الله بما يتصف به من صفات الكمال، (عطوي، 1994) أما العشي فيبدو أنه استعار هذه الأجواء العرفانية وأحالها على أنثاه مصطنعا من التصوف قناعا يخفي فيه مراده المنشود.

وقد اتجه للتجربة الصوفية باعتبارها عملية استبطانية لتجربة روحية، غايتها ليست سوى تهيئة النفس لاتخاذ موقف من الوجود ومن العالم المزيف، بغية الوصول إلى الخيال الحقيقي، ومحاولة كشف الحقيقة وكشف العالم المختفي عن طريق تجاوز العالم المحسوس، من هنا كان لزاما أن يستلهم تلك التجربة ليتمكن من سبر أغوار الذات الإنسانية وكشف ملامح القوة والضعف وصراع الإنسان في هذا العصر. (بوسقطة، 2008) فتظهر في بداية المقطع الشعري لفظة "**أشرقت**" والتي تحيلنا إلى اللفظ الصوفي الإشراق والذي يقوم على الحدس الذي يربط الذات العارفة بالجواهر النورانية وتسمى بالعلم الحضوري، أي حصول العلم بالشيء بدون حصول صورته في الذهن، وحكمة الإشراق هي الحكمة المبنية على الإشراق الذي هو الكشف. (عودة، 2008) واستدعاء الشاعر لهذه الأجواء، غايته بناء قصيدة حداثية بصبغة عرفانية روحية، تحيلنا إلى حيثيات التجريب الشعري من كونه يشكل رحلة بحث عن قوالب فنية جديدة، تسهم في إذكاء العملية الشعرية كما تمكن من إضفاء روح الحداثة عليها.

ينكشف للشاعر حجاب نوراني يتبدى له عن ذات تظهر بكمال الصفات، تبزغ منها عينان تبدوان كغسق أبلج من السواد تقيمان نضرتهما وجمالهما من دجى الليل، فكأن السواد هبة الليل لهما، والليل خلوة المشتاق، ودعة الانسياق نحو الأعماق الزاخرة، ما أثار في الشاعر هيامه وبدد إلتآمه وكسر لجامه، ليطلب الرؤية والتجلي لهذا الجمال المطلق، رؤية لروح الكتابة الإبداعية أو لأنثى توحي بهذه الكتابة وتمليها، ولما كان الحبّ يقتضي الجمال والمشاهدة جعل المتصوفة المرأة رمزا له" **فهي ليست محلا للشهوة بذاتها، بل هي رمز لذلك الجمال الشامل، وطريق موصل إلى الحق فإن بثها حبه وأشواقه فإنما هو في الحقيقة يعبر من خلالها إلى ما ترمز إليه إلى الحق تعالى فالجمال المقيد المحسوس باب مفتوح على الجمال المطلق يعبر منه من لا يقف مع الرمز**". (كعوان، 2014)

والمرأة في هذا المقام تساير وتناظر القمر الذي يعد رمزا طافحا للأنوثة أو المرأة لما يشتمل عليه من تماثل زمني دوري فدورة القمر تعد بثمان وعشرين يوما وهي نفسها الدورة الشهرية لدى المرأة، وما يبعث على هذا التأويل إرداف

أسطر القصيدة بحرف الهاء: **وأرا(ها)، (ها) تذري البهاء، وأخفت تواشيح (ها)، (ها)قناع يؤجلني...**

فهذه الهاء توحي بالأنوثة فهي في اللغة العربية هاء التأنيث، الذي عذب الشاعر وأذاب كيانه وجعله في حالة انجذاب نحو الموجودات فلقد ظل **عبد الله العشي "يسعى بذاته الشاعرية- في محاولة جهيدة- إلى تقمص وجدان العالم الروحي، وتشوف قواه الباطنية في عالم الشعر الفياض، حيث كيمياء التفاعل بين الشعر والروح أو بين الحس الوجودي و التوحد بالعلاء المعشوق أي بين واقع معمول وواقع مأمول، وهو الذي أفرز التماهي في المطلق".** (فيدوح، 2009) إنها لذة الكتابة أو لذة البحث عن كتابة تجمع بين العلوي والأرضي، بين الشعر والروح، ليحدث التمازج بالمطلق في ثنايا القصيدة الشعرية وتصل به إلى أوج الإبداع والخلق الفني. **"وباشتعال قبس العشق وتأجج ناره الالهية، يزداد شوق المحب وحنينه إلى العرف الأقدس والنفس الرحماني الذي تداعى إلى باطنه ... إذ إن هذا النفس هو الذي نفس عن الأسماء الالهية ما كانت تجد من كرب حال بطونها، لأنها لا تفتأ تتعشق العالم لتظهر سلطانها في أعيانه ".** (نصر، 1998)

يقول الشاعر في قصيدته: (العشي، ديوان يطوف بالأسماء، 2009)

كنت أعرف
لكنني عاشق وله
ليس لي غيرها
من يلملمني في الزحام اللجب
كنت فتحت قلبي لها
كي تغني بأرجائه
وافرا طيعا وخبب
كان إن حضرت
مزقت ما تبقى من القلب
إربا إرب

وهي إن غاب إيقاعها
أضرمت في الضلوع اللهب
ثم...

فالحب في هذه القصيدة يصور تواترا وتتابعا فأوله وجد، وأوسطه محو، وآخره حرق، إنه الحاجة والرغبة بهذا المحبوب الذي يسكن دواخله ويسلمه لذات أخرى تحكم قرارات نفسه، ولا سبيل إلى فقدانها فهي تلملم شتاته، وتواسي إحساسه، لتلوح في كيانه دفقات دفينة لأنثى فريدة تشعل فيه نارا ولهيبا ببعدها، فتفجعه بغيابها وانسيابها، وتألمه بقربها ودنوها، لتغدو رحلة بحث عن ذات في ذاته، لرأب صدع ألم به حتى يتحقق له إشباع عاطفي من نوع خاص، سواء في الكتابة الشعرية "القصيدة"، أو اللغة، أو المرأة الأنثى، وإن كان الطريق نحو الصفاء الروحي نحو محبة خالصة أتت للشاعر بـــ: **مزقت ما تبقى من القلب، أضرمت في الضلوع اللهب**، إنه تماهي روحي نحو الاتحاد بذوات قد تكون مختلفة لكنها في الحقيقة مؤتلفة، تشكل، الأنثى بما هي نزوع نحو الكمال المطلق ليصير حب الشاعر "**تلويحا إلى حب إلهي مستحوذ قاهر من ديالكتيك عاطفي وجداني يجمع بين الطبيعي الالهي، بين الشعور الباطني ببكارة العشق وعذريته الطاهرة وبين الشهوانية التي تعبر عن نفسها في مظاهر استطيقية متنوعة، بين التجلي الالهي والصورة العينية المحسوسة**". (نصر، 1998)

ليتجلى الحب عند الشاعر نبعا صافيا ومعينا أبديا، تحولت فيه الأنثى إلى ذلك الوجود البكر الذي يتدفق نبعه بالمعاني اللامتناهية؛ وقد تحررت فيه الذات من دنس العالم بتفاصيله المكررة، ومن سجن المعنى الغارق في مادية اللغة المتناهية المتمثلة في نحوها وعروضها وفصاحتها ليغدو المجاز والرمز هو الوحيد الذي يستطيع أن يحرر العشق من ذلك التناهي اللغوي ليسبح في ملكوت السيمياء وطلسمات الشعر وبلاغة الحروف المزخرفة بأنوار القلب. (يوسف، 2002)

فالشاعر في بداية المسار العاطفي عرف أن في داخله شعورا يدفعه إلى الكلام متأتيا من حبه لامرأة، ليست كباقي النساء تمارس عليه الغواية والفتون

وترحل به إلى مدن الخرافة والمجاهيل والأماكن الغيبية، وإنما لجعله يحس أنّها تتقاسم معه المشاعر نفسها أحيانا وتختفي عن حدود رؤيته أحيانا أخرى .وفي كل هذه الأحوال تتغير الحالات الشعورية عنده ومنها الأحاسيس النابعة الجياشة، لتتراوح بين النشوة والألم أو الامتلاء النفسي والفراغ العاطفي، فيحاول الفرار من دنس الدنيا إلى طهر الروح وحفظ النفس، (تسعديت، 2010) فقد ارتقى الشاعر بهذا الحب من الأنسنة والذوات الأرضية إلى الإلهي، فجمال الكائنات والمخلوقات من جمال بديع السماوات فهو من أوجدها، وأفاض من جماله على الوجود كله، ولما كانت المرأة تعد من الحسن والبهاء ما يجملها على جميع المخلوقات، فقد اعتبرت في العرف العرفاني المقابل الأنسب للذات الإلهية في جمالها وبهائها وتفردها.

وقد برزت تجربة الحب في معظم دواوين الشاعر واستطاع برهافة حسه أن يفيد من الشعر الغزلي عبر تمثله لأدائه الظاهري وتقنياته أيضا، فأضفى عليه لونا مختلفا وأوجد منه أسلوبا خاصا به، فاحتل ضمير المتكلم **أنا** -باعتباره في الأغلب شعر مناجاة وكشف مركز الصدارة فيه، وأصبح ملمحا أسلوبيا، وإطارا معرفيا، يصلح كمدخل لقراءته والنفاذ إلى أعماقه المستترة وفي مساراته ومداراته فقد اقترب شعره من السيرة الذاتية فبدا كنوع من الترجمة الشعرية

وقد لخص الشاعر نظرته إلى المرأة وتوظيفه لها بقوله: (**كثيرا من الشعراء يستخدمون المرأة كحديث عن موضوعات متعددة... يكاد المؤنث أن يكون أساس الكون، وأنا أيضا المخاطب في شعري أنثى، وقد تكون امرأة، وقد تكون أنثى من أي جنس والمرأة أصبحت مكونا أساسيا في الشعر فهي ترمز للجمال والجلال ويتحقق الأمر عند المتصوفة لأنهم جعلوا الذات الإلهية امرأة أو أنثى إذا كان الرجل عقل الوجود، فإن المرأة بهجته وجماله**). (العشي، الشعر رؤية معرفية، 2014)

فـعبد الله العشي اعتبر أن حضور المرأة في الشعر العربي الحديث، يحمل دلالات متعددة ومتنوعة، لكل شاعر فالمرأة هي الوطن، وهي الأم، و هي المعنى المثالي، وكان حضور المرأة عنده بارزا وواضحا في دواوينه الشعرية، يستلهم من

التراث الصوفي أهم معاني المثال، والسمو، الذي أحاله على هذه المرأة ليطبع شعره بحس صوفي تنثال من خلاله اللغة وتنساب معبرة عن هموم وقضايا متعدد يحملها الشاعر.

إن استخدام معطيات التصوف استخداما فنيا إيحائيا، وتوظيفها رمزيا يحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية للشاعر، بحيث يسقط الشاعر على معطيات التراث -الصوفي- ملامح معاناته الخاصة، وإمكاناته الإبداعية، فتغدو معطياته تراثية- معاصرة، تعبر عن أشد همومه خصوصية، دون انكفاء أو اقحام مفروض من الخارج، هو ما يسمح بإقامة خيوط أصيلة من نسيج الرؤيا الشعرية المعاصرة. (زايد، توظيف التراث في شعرنا المعاصر، 1980) كما أنه يعد ركيزة من ركائز التجريب الشعري الحداثي الذي يطمح إلى إكساب اللغة دلالات جديدة، من شأنها أن تقوي الحساسية الشعرية، وتضفي عليها قيما روحية ترفعها إلى دائر المقدس والعرفاني، **يقول الشاعر في قصيدته:** (العشي، ديوان يطوف بالأسماء، 2009، صفحة 30)

كانت امرأة عند باب الإله

تشرق الشمس حين تشير بإصبعها

وإذا ابتسمت

كان نورا مذاب

لما كان الحب يقتضي الجمال والمشاهدة جعل المرأة رمزا له فهي " **امرأة، ابتسمت، نورا مذاب** " فهي ليست محلا للشهوة بذاتها، بل هي رمز الجمال الشامل، وطريق موصل إلى الكمال إن جاز التعبير فإن بثها حبه وأشواقه، فإنما هو في الحقيقة يعبر من خلالها إلى ما ترمز إليه، من رقة وجمال يعيد للعالم اتزانه ورقته بعيدا عن كل مظاهر المدنية المادية الخشنة والتقدم العلمي فالجمال المقيد المحسوس بابا مفتوحا على الجمال المطلق يعبر منه من لا يقف مع العبارة يتعداها إلى الإشارة، إين يكمن الجمال المطلق وتصرح اللغة بكل حمولاته الدفينة في رحاب عالم الشعر الشاعر لا ينشد التصوف بالمعنى الحقيقي إنما هو متصوف

في لغته وأسلوبه، ينفتح نحو فضاءات اللغة والعشق ليشيد لنفسه صرحا شعريا حداثيا يساير من خلاله اللغة والكتابة الفنية الحداثية.

فالمحبة عند الشاعر كتجربة في الكتابة لا في الدين تطواف في غيمة من احتمال لا متناه، تنشد الممكنات، وتناجي المستحيلات، عبر وسيط انتقالي عروجي، من عالم الشهود، إلى عالم الغيب المنشود، لتفنى فيه برغبة ما أراها تتحقق إلا في عوالمه العرفانية، التي صبغها بروح كليمة متألمة حائرة مغتربة، وسط ركام الوجود المادي إيذانا منها باتحاد خالص مع أنثى ينشد من خلالها الكمال والجمال والجلال والمثال، فهو عبر تطوافه هذا في ارتقاء وتدرج بين مقامات صوفية متنوعة، باذلا كليته ليحقق مبتغاه ، بالوصول إلى مولاه، والفناء في سبحات نوره وسناه.

ويجسد حسّ التصوف تجربة ووثبة إبداعية تقتضي المحبة الخالصة والإصرار على الفناء في محبة المحبوب، إلى آخر رمق دون أن يحيد قيد أنملة عن نواميس هذه المحبة الفريدة المضرجة بماء الوجدان الزلال الطاهر، المطهرة بنار الوجد والشوق المسعرة.

يعمد الشاعر إلى التناص مع الحب الصوفي وذلك في إطار بحثه عن شكل تعبيري جديد يناسب خبراته الاجتماعية والحضارية الجديدة الصاعدة المتفاعلة، ويناسب أيضا ذاته القلقة المتسائلة، بلهفة مشرقة، وحيرة محدقة غرف من الرافد الصوفي من كونه يعد عالما حافلا بالمواقف والدلالات، فنظر إليه من بعدٍ مناسب يتماشى مع المنطق الصحيح، فتمثله جوهرا وروحا نابضا ومواقف لا صورا وأشكالا وقوالب جاهزة فأدرك بذلك أبعاده العرفانية .

إن التجربة الشعرية لديه هي تجربة مثقفة، فيها درجة عالية من الوعي والتصميم والصناعة دون أن يعني ذلك إلغاء لشرط الأصالة والموهبة والصدق الشخصي... إنها نتاج لقاء بين المخيلة الشعرية الأصيلة وبين ثقافة العصر وهمومه. وفق نسق تجريبي يبحث عن الابتكار والخلق الشعري.

نتائج البحث:

- إن رمز المرأة عند **عبد الله العشي** كتجربة في الكتابة لا في الدين تطواف في غيمة من احتمال لا متناه، تنشد الممكنات، وتناجي المستحيلات، عبر وسيط

انتقالي عروجي، من عالم الشهود، إلى عالم الغيب المنشود، لتفنى فيه برغبة ما أراها تتحقق إلا في عوالمه العرفانية، التي صبغها بروح كليمة متألمة حائرة مغتربة، وسط ركام الوجود المادي إيذانا منها باتحاد خالص مع أنثى ينشد من خلالها الكمال والجمال والجلال والمثال، فهو عبر تطوافه هذا في ارتقاء وتدرج بين مقامات صوفية متنوعة، باذلا كليته ليحقق مناه، بالوصول إلى مولاه، والفناء في سبحات نوره وسناه.

- يعمد **عبد الله العشي** إلى التناص مع رمز المرأة الصوفي وذلك في إطار بحثه عن شكل تعبيري جديد يناسب خبراته الاجتماعية والحضارية الجديدة الصاعدة المتفاعلة، ويناسب أيضا ذاته القلقة المتسائلة، بلهفة مشرقة، وحيرة محدقة غرف من الرافد الصوفي من كونه يعد عالما حافلا بالمواقف والدلالات، فنظر إليه من بعدٍ مناسب يتماشى مع المنطق الصحيح، فتمثله جوهرا وروحا نابضا ومواقف لا صورا وأشكالا وقوالب جاهزة فأدرك بذلك أبعاده العرفانية .

- يجسد حسّ التصوف عند **عبد الله العشي** تجربة ووثبة إبداعية تقتضي المحبة الخالصة والإصرار على الفناء في محبة المحبوب، إلى آخر رمق دون أن يحيد قيد أنملة عن نواميس هذه المحبة الفريدة المضرجة بماء الوجدان الزلال الطاهر، المطهرة بنار الوجد والشوق المسعرة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. **السلمي ,ع .ا .(1999) .المقدمة في التصوف .بيروت :دار الجيل.**
2. العشي ,ع .ا .(2007) .ديوان مقام البوح .باتنة :منشورات جمعية باتنة الثقافية.
3. العشي ,ع .ا .(2009) .ديوان يطوف بالأسماء .ع .ا .العشي .باتنة :منشورات أهل القلم.
4. العشي ,ع .ا .(2014) .*الشعر رؤية معرفية* .باتنة :جريدة الرأي.
5. العشي ,ع .ا .(2014) .ديوان صحوة الغيم .عمان :دار فضاءات للنشر والتوزيع،.
6. بوسقطة ,ا .(2008) .الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر .بيروت : منشورات بونة للبحوث والدراسات.
7. تسعديت ,ب .أ ,2010) .جانفي .(المخطط النظامي العاطفي في ديوان "مقام البوح "لعبد الله العشي .*مجلة الخطاب*.276 ,(6)
8. زايد ,ع .ع .(1980) .توظيف التراث في شعرنا المعاصر .*مجلة فصول* ,(1)*1* , 204.
9. زايد ,ع .ع .(1997) .استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر . القاهرة :دار الفكر العربي.
10. شقرون ,ش .(2010) .سيميائية)الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح (للشاعر عبد الله العشي .اربد :عالم الكتب الحديث.
11. عطوي ,ع .ن .(1994) .ابن الفارض شاعر الغزل في الحب الإلهي .بيرت :دار الكتب العلمية.
12. عودة ,أ .ي .(2008) .تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية .اربد :عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
13. فيدوح ,ع .ا .(2009) .إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر .دمشق :دار صفحات للدراسة والنشر.

14.كعوان ,م ,2014) .جوان .(فلسفة الحب عند الصوفية .*مجلة العلوم الإنسانية*.41 ,(41)

15.نصر ,ع .ج .(1998) .الرمز الشعري عند الصوفية .القاهرة :المكتب المصري لتوزيع المطبوعات.

16.يوسف ,أ .(2002) .يتم النص الجينيالوجيا الضائعة تأملات في الشعر الجزائري المختلف .الجزائر :منشورات الاختلاف.